السنة الحادية والستون بعد المئة

فيها خرجَ المقنَّع الخارجي بخراسان ـ واسمه حكيم ـ بقريةٍ من قرى مرو، وكان يقولُ بتناسخ الأرواح، فاستغوَى خلقاً كثيراً، واستفحلَ أمرُه، وسار إلى ما وراء النهر، فبعثَ المهديُّ لقتاله جماعةً من القوَّاد، فيهم معاذ بن مسلم، وكان على خراسان، وعقبة بن مسلم، وجبريل بن يحيى، وليث مولى المهدي، وقدَّم المهدي سعيدَ الحَرَشيّ على الجميع، فتحصَّن المقنَّع بقلعة بِكَشٍّ، وعنده ما يحتاجُ إليه من الميرةِ والطعام.

وفيها أمر المهديُّ ببناء القصور التي كانت بطريق مكَّة في القادسية وزُبالة وغيرهما، وأقام المنار، واتخذَ المصانعَ في كل منهل، وجدَّد البرك، وحفر الركايا، وولَّى ذلك أبا موسى بن موسى وأخاه.

وأمرَ المهديُّ ببناء[1] جامع البصرة، وزادَ فيه مِمَّا يلي القبلة، وعن يمينه ممَّا يلي رَحبة بني سُليم، وولّى عمارةَ ذلك محمد بن سليمان، وهو يومئذٍ والي البصرة.

وفيها أمرَ المهديُّ بنزعِ المقاصير من مساجد الجماعات، وتقصيرِ المنابر، وتصييرها إلى المقدارِ الذي كان عليه منبرُ رسول الله ﷺ، وكتبَ بذلك إلى الآفاق، فعَمِلوا به.

وفيها زاد المهدي في المسجد الحرام ومسجد المدينة.

وحجَّ بالناس موسى بن المهدي، وهو وليُّ عهد أبيه.

وكان العامل على مكَّة والطائف واليمامة جعفر بن سليمان، وعلى اليمن علي بن سليمان، وعلى الكوفة إسحاق بن الصبَّاح[2].

وفيها توفي

أبو دُلَامة

الشاعر الكوفي، مولى بني أسد.

---

(١) أي بالزيادة فيه. انظر تاريخ الطبري ٨/ ١٣٦، والمنتظم ٨/ ٢٤٨.

(٢) انظر تاريخ الطبري ٨/ ١٤١، والمنتظم ٨/ ٢٥١.

واختلفوا في اسمه، والمشهور زند بنون، وأبوه اسمه الجون. وقيل: اسم أبي دلامة زبد، بباء[١].

وكان عبداً مولداً حبشياً، [لرجل][٢] من أهل الرقة، يقال له قُصاقص بن لاحق الأسدي.

وكان فصيحاً خليعاً ماجناً ، ولم يكن له في دولة بني أمية ذكرٌ، فلمَّا ظهرت دولة بني العباس انقطعَ إلى أبي العباس وأبي جعفر والمهدي، فكانوا يقدِّمونَه ويستظرفون نوادره.

ذكر طرف من أخباره:

روى الخطيب عن الأصمعي قال : أمر المنصور أبا دُلَامة بالخروج نحو عبد الله بن علي، فقال له أبو دُلامة: نشدتُك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني في شيءٍ من عساكرك، فإنِّي شهدتُ تسعة عساكر انهزمت كلُّها ، وأخاف أن يكون عسكرك العاشر، فضحكَ منه وأعفاه[٣].

وحكى الخطيب عن العتَّابي قال: دخل أبو دُلامة على المهديّ، فطلب منه كلباً للصيد، فأمر له به، فقال: وأين قائده؟ فأعطاه، قال: وأينَ الجاريةُ التي تطبخُ الصيد، فأمر له بها، ثم قال: يا أمير المؤمنين، أقطعني ضيعةً أعيشُ فيها، فقال: قد أقطعتُك مئة جريب من العامر، ومئةً من الغامر، قال: وما الغامر؟ قال: الخراب الذي لا يُنبت. قال أبو دلامة: فقد أقطعتُ أميرَ المؤمنين خمسَ مئة جريب من الغامر من أرض بني أسد، ثم قال له المهديّ: هل بقيت لك حاجة؟ قال: نعم، تأذنُ لي في تقبيلِ يدك، قال: ما إلى ذلك سبيل، فقال: والله ما رددتني عن حاجةٍ أهونَ فقداً عليَّ منها[٤].

وفي رواية: ما على عيالي أيسرَ من ترك هذه الحاجة.

---

(١) كذا ضبطها الخطيب في تاريخ بغداد ٩/ ٥١٧ بالباء المنقوطة بواحدة، وفي الأغاني ١٠/ ٢٣٥ : زيد بالياء، ورجحا الأول.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٩/ ٥١٧.

(٣) تاريخ بغداد ٩/ ٥١٨ ـ ٥١٩.

(٤) تاريخ بغداد ٩/ ٥٢٢.

وحكى الأصمعي قال: كساه أبو جعفر ساجاً، فشرب ليلةً فسكر، وخرجَ فأخذه العسس، فجاذبوه فخرَّقوا الساج، وكتبَ صاحب العسس إلى المنصور فأخبره فقال: احبسه في بيت الدجاج لتصغرَ نفسه عنده، فحبسَه فيه، فلمَّا كان في بعض الليل صحا فنادى جاريتَه، فشتمَه السجَّان، فلمَّا رأى نفسَه في بيت الدجاج قال للسجَّان: ويحك من أدخلني هاهنا؟ فقال: أعمالك الخبيثة، فقال: ائتني بدواة وبياض، فأتاه بها، فكتبَ: [من الوافر]

أمن صهباءَ صافيةِ المزاجِ ... كأنَّ شُعاعها لهب السِّراجِ
تهشُّ لها القلوب وتشتهيها ... إذا برزت تَرَقْرَقُ في الزُّجَاجِ
وقد طُبِخت بنار الله حتَّى ... لقد صارت من النُّطَفِ النِّضَاجِ
أميرَ المؤمنين فدتكَ نفسي ... علامَ حبستني وخَرَقْتَ ساجِي
أُقادُ إلى السُّجون بغير ذنبٍ ... كأنِّي بعض غُمَّال الخراجِ
ولو معهم حُبِستُ لهان وجدي ... ولكنِّي حُبِستُ مع الدَّجَاجِ
دجاجات يطيفُ بهنَّ ديكٌ ... يُناجي بالصياح إذا يناجِي
وقد كانت تخبِّرُني ذُنوبي ... بأنِّي من عذابِك غيرُ ناجِ
على أنِّي وإنْ لاقيتُ شراً ... لخيرِك بعدَ ذاكَ الشرِّ راجِي

وقال للسجَّان: أوصل هذه إلى أمير المؤمنين ولك صلة، فأوصلَها إلى المنصور، فقرأَها وأمر بإحضاره، فقال: أين بتَّ البارحة؟ قال: مع الدجاج، فقال: ما كنتَ تصنع، فقال: بتُّ أقوقي معهنَّ إلى الصباح، فقال: لعلك بِضْتَ شيئاً من البيض؟ فقال: نعم اثنتان، فضحك واستتابه، ووصلَه[1].

وقيل: إنَّ هذه الواقعةَ جرت لأبي دُلامة مع المهدي، وأن المهديَّ أمرَ بتخريق ساجه، ولهذا قال: وخرقتَ ساجي[2].

وقال الأصمعي: كان أبو دلامة قليل الصلاة مدمناً على شربِ الخمر، فألزمَه أبو جعفر المنصور الصلوات، ومنعَه من الشُّرب، وحبسَه في قصره، فقال ينشد هذه الأبيات: [من الطويل]

(١) انظر الخبر في تاريخ بغداد ٩/ ٥١٩-٥٢٠، والأغاني ١٠/ ٢٥١-٢٥٢.
(٢) انظر العقد الفريد ١/ ٢٦١ ـ ٢٦٢.

ألـم تـريـا[1] أنَّ الإمـامَ أقـامـنـي[2] بمسجدِه والقصرِ ما لي وللقصرِ
يكلِّفني الأولى جميعاً وعَصْرها فويلي من الأُولى وويلي من العصرِ
ويمنعني عن مجلسٍ أستلذُّه وأكرمُ فيه بالسماعِ وبالخمرِ
وما ضرَّهُ والله يغفر ذنبه لو انَّ ذنوبَ العالمينَ على ظهْرِي

وبعثَ بها إلى أبي جعفر فقرأها وقال: قاتلَه الله، يحملُ ما أراد، دعوه.

وحكى الأصمعيُّ أيضاً قال: دخلَ أبو دلامة يوماً على المهدي في خلافته وهو يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ فقال: ماتت أم دُلامة، فاغتمَّ المهدي، وأعطاه أربعة آلاف درهم وثياباً برسم الكفن، فخرجَ من عنده، وقال لامرأته: قومي فادخلي على الخيزران، وقولي لها: مات أبو دُلامة، ففعلت، فأعطتها مثلَ ما أعطاه المهدي، واتَّفق دخولُ المهدي على الخيزران، فعزَّته في أبي دلامة، فقال: الساعة خرجَ من عندي وأخبرني بموتِ امرأته، وأعطيته كذا وكذا، فقالت: والساعةَ كانت عندي امرأتُه، وأخبرت أنَّه مات، وأعطيتُها كذا وكذا، فقال المهدي: عملونا[3] والله، فلما كان بعد يومين دخلَ على المهديّ فقال له: يا أبا دُلامة أحياةٌ بعد الموت؟ فقال: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠] فضحكَ المهديُّ ولم يقل شيئاً.

وقال الهيثم بن عديّ: دخل أبو دلامة على أبي جعفر فأنشده:

لو كان يَقعدُ فوقَ الشمس من كَرَمٍ قومٌ لقيل اقعدوا يا آلَ عباسِ
ثمَّ ارتقُوا في شعاعِ الشمس كلُّكم إلى السماء فأنتُم سادة الناسِ

فقال له أبو جعفر: حدث أمر؟ قال: نعم وَلدت لي البارحةَ ابنةٌ، فقلت فيها هذين البيتين: [من الوافر]

فما ولدتك مريمُ أمُّ عيسى ولم يكفلك لقمانُ الحكيمُ
ولكن قد تضمَّك أمُّ سوءٍ إلى لَبَّاتها وأبٌ لئيمُ[4]

(١) في (خ): تر. والمثبت من الأغاني ١٠/ ٢٤٨.
(٢) في الأغاني ١٠/ ٢٤٨ : أن الخليفة لزَّني.
(٣) كذا في (خ). وفي تاريخ بغداد ٩/ ٥٢٢ ـ من غير طريق الأصمعي ـ : خدعانا والله.
(٤) انظر الأغاني ١٠/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠، وتاريخ بغداد.

فضحكَ أبو جعفر وأعطاه ألفي درهم.

وذكر في «العقد» أنَّ هذه الواقعة كانت مع المهدي، وأنَّ أبا دلامة خاطَ خريطة من شقائق النعمان[١]، ولَمَّا دخلَ على المهدي أنشده البيتين، وأنَّ المهدي قال له: أتريد أن أعينك على تربيتها؟ قال: نعم. وكانت الخريطةُ بين أصابعه، فقال: يا أمير المؤمنين، املأ لي هذه الخريطة دراهم، فاستصغرها المهديُّ وقال: وما عسى أن تسعَ هذه؟ فقال أبو دلامة: من لم يقنعْ بالقليل لم يقنع بالكثير، فأمر أن تملأ، فلما نشرت ملأت صحنَ الدار، فدخل فيها أربعةُ آلاف درهم، وقال المهدي: أعطوه إيَّاها[٢].

وقال الأصمعيُّ: لقي أبو دلامة معنَ بن زائدة في الصيد، فأخذ بعنان فرسه وقال: [من الكامل]

إنِّي حلفت بإنْ رأيتُك سالماً ... بقُرَى العراقِ وأنت ذو وَفْرِ
لتصلينَّ على النبيِّ محمدٍ ... ولتملأنَّ دراهماً حِجْرِي

فقال له معن: أمَّا الصلاة فنعم، وأمَّا الدراهم فلمَّا نرجع من الصيد، فقال: جعلت فِداءك، لا تفرِّق بينهما، فاستسلفَها له، وصَبَّها في حجره حتى أثقله[٣].

وحكى المبرد عن الأصمعيِّ قال: أمر أبو جعفر أصحابَه بلبس القلانس الطِّوال، ودراريع بين أكتافها مكتوبٌ فيها هذه الآية: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وأمر بشدِّ السيوف في أوساطهم، فدخلَ أبو دلامة يوماً عليه وهو في ذلك الزيّ، فقال له أبو جعفر: كيف أصبحت؟ فقال: بشر حال، قال: وكيف؟ قال: ما ظنُّك بمن أصبحَ وجهُه في وسطه، وسيفُه في استه، وقد نبذَ كتاب الله وراءَ ظهره؟ فضحك أبو جعفر، ووصلَه[٤].

ولأبي دُلَامة شعرٌ في القلانس الطوال وهو:

وكنا نرجِّي من إمامٍ زيادةً ... فزادَ الإمامُ المصطفى في القلانسِ

(١) كذا. وفي العقد الفريد ١/ ٢٦٠ : خريطة من شقق. وفي تاريخ بغداد ٩/ ٥٢١ : من خرق.
(٢) العقد الفريد ١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١.
(٣) ذكر الخبر بنحوه الأصفهاني في الأغاني ١٠/ ٢٥٣ لكن القصة فيه مع المهدي لا مع معن، وذكره ابن عبد ربه في العقد ١/ ٢٦٣، والخبر فيه مع أبي دُلف والي العراق. والله أعلم.
(٤) انظر الأغاني ١٠/ ٢٣٦، والعقد الفريد ١/ ٢٦٤.

تـراهَـا عـلـى هـامِ الـرجـال كـأنَّـهـا دنـانُ يـهـودٍ جُـلِّـلـت بـالـبـرانـسِ

وقد ذكرنا البيتين في سنة ثلاثٍ وخمسين ومئة[١].

وقال الأصمعي: اشترى أبو دلامة جاريةً بألفي دينار، ولم يكن معه ثمنُها، فكتبَ إلى العباس بن أبي جعفر المنصور أبياتاً يتقاضاه بثمنها، منها ما يقول: [من البسيط]

أبـصـرتُ جـاريـةً مـحـجـوبـةً لـهـمُ تطلَّعت من أعالي [القصر] ذي الشُّرفِ
قالوا لك الخيرُ ما أبصرتَ قُلت لهم حبيبةً[٢] أقصدتني من بني خَلَفِ
فـقـام شـيـخٌ دهـي[٣] مـن تِـجـارهـم قد طالما خدعَ الأقوامَ بالحَلِفِ
فـابـتـاعـهـا لـي بـألـفـي أحـمـر فـغـدا بـهـا إلـيَّ وألـقـاهَـا عـلـى كـتـفِـي
بـتـنـا كـذلـك حـتـى جـاءَ صـاحـبُـهـا يبغي الدنانيرَ بالميزان ذي الكَفَفِ
فإنْ تـصـلـنِـي قـضـيـتُ الـقـومَ حـقَّـهـم وإن تـقـل لا فـحـقُّ الـقـومِ فـي تَـلَـفِ

فبعثَ إليه العباسُ بألفي دينار.

وأبو دلامة هو الذي قالتْ له أمُّ سلمة امرأة أبي العباس السفاح: يا أبا دلامة، ما حزنَ على أمير المؤمنين أحدٌ مثلي ومثلك، فقال: يا ستِّي، أنت لك منه أولاد، وأنا ما لي منه ولد، فضحكَتْ، ولم تكن ضحكت قبل ذلك. وقد ذكر ذلك.

وقال الهيثم: ماتَ أبو دلامة في هذه السنة، ويقال: إنَّه عاش إلى أيَّام هارون الرشيد. انتهى.

سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري

ذكرهُ ابنُ سعد في أوَّل الطبقةِ السادسة من أهل الكوفة، ويكنَى أبا عبد الله.

[قال][٤]: وقال محمد بن عمر: وُلدَ سنة سبعٍ وتسعين في خلافة سليمانَ بن عبد

(١) ص٢٤٢ من هذا الجزء.

(٢) في العقد الفريد ١/ ٢٦٥: جَنِيَّةً.

(٣) في الأغاني ١٠/ ٢٦٧، والعقد الفريد ١/ ٢٦٥: بهيٌّ. وما بين حاصرتين منهما.

(٤) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق، انظر طبقات ابن سعد ٨/ ٤٩٢.

الملك، وكان ثقةً مأموناً كثيرَ الحديث، وأجمعوا على أنه توفِّي بالبصرة وهو مستخفٍ في شعبان سنة إحدى وستين ومئة في خلافة المهدي.

قال: وكان سفيان يقول: وجدتُ قلبي يصلحُ بمكَّة والمدينة مع قومٍ غرباءَ أصحاب بيوت.

قال: وكان سفيان يقول دائماً: سَلِّم سَلِّم.

قال: وكان سفيان يتَّجِر، ويفرِّق الربحَ على إخوانه الفقراء.

وكان له ابنٌ ليسَ له غيرُه، فكان سفيان يقول: ما في الدنيا شيءٌ أحبَّ إليَّ منه، وإنِّي لأحبُّ أن أقدِّمه، قال: فماتَ ابنُه ذاك فجعلَ كلَّ شيءٍ لأختِه وولدها، ولم يورِّث أخاهُ المبارك بن سعيد شيئاً.

وطُلِبَ سفيان في أيَّام المهدي، فخرجَ إلى مكَّة، فكتبَ المهديُّ إلى محمد بن إبراهيم يطلبُه، فبعثَ محمد إلى سفيان وأعلَمه، قال: إنْ كنتَ تريدُ إتيانَ القوم فاظهر حتى أبعثَ بك إليهم، وإنْ كنتَ لا تريدُ إتيانهم [فتوار، قال:][1] فتوارى سفيان، وطلبَه محمدُ بن إبراهيم، وأمر منادياً ينادي بمكة: من جاء بسفيان فله كذا وكذا، فلم يزل متوارياً بمكَّة لا يظهر إلَّا لأهل العلم ومن لا يخافه.

وقال أبو شهاب الحنَّاط: بَعَثَتْ أختُ سفيان لسفيان معي إلى مكة بجرابٍ فيه كعك، وخشكنانك، فأتيتُ مكَّةَ فسألتُ عنه، فدلُّوني عليه، فأتيتُه، وكان صديقاً لي، فسلَّمتُ عليه، فلم يحفل بي، وكان متَّكِئاً فما قعد، كما أعرف منه، فقلت: إنَّ أختكَ بعثت معي بجرابٍ فيه كعكٌ وخشكنانك، فاستوى جالساً وقال: عجِّل عليَّ به، فقلت: أتيتُك وأنا صديقك، فسلَّمتُ عليك، فلم تردَّ عليَّ ذاك الرد، فلمَّا أخبرتُك بجراب كعك وخشكنانك ما يساوي شيئاً جلستَ وكلَّمتني، فقال: يا أبا شهاب، اعذرني، فوالله لي أربعةُ أيام أو ثلاثة أيام ما ذقتُ طعاماً، فعذرتُه والله.

قال ابن سعد: فلما خافَ سفيان بمكة قدم البصرة، فنزلها بقرب منزلِ يحيى بن سعيد القطَّان، وعلمَ به يحيى، فحوَّله إلى جواره، وفتحَ له باباً إليه، فكان يأتيه بمحدِّثي

(١) ما بين حاصرتين من طبقات ابن سعد ٨/ ٤٩٣.

أهل البصرة يسمعونَ منه، فكان فيمن أتاه جرير بن حازم، والمباركُ بن فَضالة، وحَمَّاد ابن زيد، وغيرهم، وأتى عبدُ الرحمن بن مهدي ولزمَه، وكان يحيى وعبد الرحمن يكتبان عنه تلك الأيَّام، فخافَ سفيان أن يشتهرَ بالبصرة فقال ليحيى بن سعيد: حوِّلني من هذا المكان، فحوَّله إلى منزلِ الهيثم بن منصور الأعرجي من بني سعد بن زيد [مناة][1] بن تميم فلم يزل فيه، فكلَّمه حمادُ بن زيد في تنحيته عن السلطان، وقال: هذا فعلُ أصحاب البدع، وما تخاف منهم؟ فأجمعَ سفيان وحَمَّاد بن زيد أن يقدما بغداد على المهدي.

وكتب سفيان إلى المهدي، أو إلى يعقوب بن داود، فبدأ بنفسه، فقيل له: إنَّهم يغيظون من هذا، فبدأ بهم، فجاء جوابُ كتابه بما يحبُّ من القرب والكرامة، والسمع منه والطاعة، فكانَ على عزم الخروج إليهم، فحُمَّ ومرضَ مرضاً شديداً، وحضرَه الموتُ، فجزع، فقال له مرحوم بن عبد العزيز: يا أبا عبد الله ما هذا الجزع؟ إنَّك تقدم على الربِّ الذي كنتَ تعبدُه، فسكنَ وهدأ، وقال: انظروا من ها هنا من أصحابنا الكوفيين، فأرسلوا إلى عبّادان، فقدم عبد الرحمن بن عبد الملك بن أبجر، والحسن ابن عيَّاش أخو أبي بكر بن عيَّاش، فأوصى إلى عبد الرحمن، وأوصاه أن يصلِّي عليه، فأقاما عنده حتى مات.

وخرجت جنازته، وصلَّى عليه عبد الرحمن، وشهدَه الخلق، ودفنوه، وانصرف عبد الرحمن والحسنُ بن عيَّاش فأخبرا أهلهما بموته[2]. وهذا قول ابن سعد[3].

وذكره الخطيب في «تاريخه» وأثنى عليه فقال: كان إماماً من أئمَّة المسلمين، وعلماً من أعلام الدين، مُجْمَعاً على أمانتِه [بحيث يستغنى عن تزكيته، مع الإتقان][4]، والحفظ والمعرفة والورع والزهد، قدمَ بغداد غير مرَّة، وخرجَ منها إلى خراسان، ويقال: إن نسيباً له مات ببخارى فخرجَ بسبب ميراثه.

---

(١) ما بين حاصرتين من طبقات ابن سعد ٨/ ٤٩٣.

(٢) كذا، وفي طبقات ابن سعد ٨/ ٤٩٥: ثم انصرفا إلى الكوفة فأخبرا أهلها بموت سفيان.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٩٢ ـ ٤٩٥.

(٤) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ١٠/ ٢١٩.

وقيل: إن الميت كان عمَّه، وقيل: إنما خرج لزيارة صديقٍ له، وهو ابن ثمان عشرة سنة، فجلسَ بها ثم عادَ إلى الكوفة.

قال الخطيب: مرَّ سفيانُ ببغداد فرأى جلَّاداً كان يجلد الناس، وقد عَمِي وهو يتصدَّق، فأعطاه قطعةً وقال: ليس هذه صدقةً عليك، هذه شماتةٌ بك[١].

وروى الخطيب عن علي بن ثابت قال: رأيتُ الثوريَّ في طريق مكَّة، فقوَّمت كلَّ شيءٍ عليه حتى نعليه: درهم وأربعة دوانيق[٢].

وروى الخطيب عن يوسف بن أسباط قال: صلينا العشاء الآخرة، فقال لي سفيان: ناولني المَطْهرة، فناولته إيَّاها، فأخذَها بيمينه، ووضعَ يساره على خدِّه، ونمتُ فما استيقظتُ إلَّا وقد طلع الفجر، فنظرتُ فإذا المطهرةُ بيمينِه، ويساره على خده، وهو بحاله، فقلت له: ما هذا؟ فقال: لم أزل منذ ناولتني المَطْهَرة أتفكَّر في أمرِ الآخرة حتَّى الساعة[٣].

وروى الخطيب عن يوسف بن أسباط قال: قال سفيان: إنَّ فجَّارَ القرَّاء اتَّخذوا القرآنَ سلَّماً إلى الدنيا، فقالوا: ندخل على الأمير، نفرِّج عن المكروب، ونتكلَّم في المحبوس[٤].

قال: وكان سفيان لا يقبلُ برَّ أحد، وكانَ معه نحوٌ من مئتي دينارٍ يَتَّجِرُ له بها قوم.

وحكى الخطيب أيضاً عن محمد بن عبد الوهاب قال: ما رأيتُ الفقراء أعزَّ منهم في مجلس سفيان ولا رأيتُ الأغنياء أذلَّ منهم في مجلسه[٥].

وروي عن سفيان الثوري أنَّه قال: لقد خفتُ الله خوفاً، وددت أنِّي خُفِّف عنِّي؛ لئلا يذهب عقلي.

قال: وقال يوسف بن أسباط: كان سفيان إذا أخذ في الفكر بالَ الدم[٦].

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٢١.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٣٠.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٢٥.

(٤) لم أقف عليه في تاريخ بغداد، وذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ٣/ ١٤٩ من رواية صالح بن خليفة الكوفي عن سفيان.

(٥) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٣٠ وفيه: الفقر... الغنى. بدل: الفقراء.... الأغنياء.

(٦) انظر حلية الأولياء ٧/ ٢٣، وصفة الصفوة ٣/ ١٤٨، ١٤٩.

وقال أبو نعيم : كان سفيان يقول: لو لم أعلم لكان أقلَّ لحزني[١].

وقال يعقوب بن يوسف السني[٢] : كان سفيان يقول: إذا سمعتُ صيحةً بالليل أضعُ يدي على رأسي وأقول: جاء العذاب.

قال: وكان ينامُ أوَّل الليل، ثم ينتبه فزعاً، فينادي: النار النار النار، إنَّ ذكرَها شغلني عن النومِ والشهوات، ثم يأخذ في الصلاة والبكاء.

وروى أبو نعيم عن عليِّ بن حمزة ابن أخت سفيان قال: ذهبتُ ببول سفيان إلى الديراني، وكان لا يخرج من باب الدير، فأريتُه إيَّاه، فقال: ليس هذا ببول حنيفي، قلت: بلى والله، إنَّه من أفضل الحنيفية، فقال: فأنا أجيء معك، فاستأذنتُ سفيان له، فقال: أدخِلْهُ، فدخلَ فجسَّ عرقَه وخرج، فقلت له: أي شيء رأيت؟ فقال: ما ظننتُ أنَّ في الحنيفية مثل هذا رجل، قد قطع الحزن كبدَه.

قال: وكان يبكي ويقول: أخاف أن أستلبَ الإيمانَ قبل موتي[٣].

وقال علي ابن أخيه: شبعَ سفيان ليلةً، فنام، ثمَّ استيقظَ مرعوباً وقال: والله لا نمتُ الليل بعدَها، الحمارُ إذا زيد في علفه نام[٤].

قال: وقيل لسفيان: كيف أصبحت؟ فقال: في دارٍ قد والله حارت فيها الأدلَّاء[٥].

وقال الأوزاعيُّ: لو قيل لي: اختر لهذه الأمة ما اخترت غير سفيان.

وقال ابن أبي الدنيا: كان سفيان يقول: ما أنفقتُ درهماً في بناء، ولا استودعتُ قلبي شيئاً فخانني قط.

وقال أبو نعيم: كان سفيان يقول: اللهمَّ إنَّك العليم بحاجتي غير معلم ، وما أطلبُ

---

(١) حلية الأولياء ٦/ ٣٦٣.

(٢) كذا في (خ). ولعلها. النسوي. ولم أقف عليه في المعرفة والتاريخ، وأورده ابن الجوزي في صفة الصفوة ٣/ ١٤٨ عن عبد الرحمن بن عبد الله عن سفيان.

(٣) انظر حلية الأولياء ٧/ ١٢.

(٤) هو في تاريخ بغداد ١٠/ ٢٢٦ وغيره: عن أبي خالد الأحمر.

(٥) في حلية الأولياء ٧/ ١٤ : قال رجل لسفيان الثوري: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ فقال: تسألني كيف أصبحت! وقد والله تحيرت....

إلَّا فكاك رقبتي من النار، إلهي إنَّ الجزعَ قد أرَّقني، ولو كان لي عذرٌ في التخلِّي لما أقمتُ مع الناس طرفةَ عين[١].

ذكر وفاته:

قال أبو نعيم: خرجَ سفيان من الكوفة في سنة خمس وخمسين ومئة ولم يرجع إليها، ومات سنة إحدى وستين ومئة، وهو ابنُ ستٍّ وستين سنة.

وقال خليفة: توفِّي سنةَ اثنتين وستين ومئة[٢].

وقال الخطيب: وسنة إحدى وستين أصحّ[٣]. وكذا قال ابن سعد[٤].

وحكى أبو نعيم عن ابن مهدي قال: مات سفيان عندي، فلما اشتد به الوجع جعل يبكي، فقال له رجل: أراك كثير الذنوب؟ فقال: ما أخاف من ذنوبي، وإنَّما أخافُ أن أستلبَ الإيمانَ عند الموت[٥].

وقال ابن مهدي: توضَّأ سفيان تلك الليلة ستينَ مرَّةً، فلمَّا كان عند السحر قال لي: يا ابن مهدي، ضع خدي على الأرض، فما أشدَّ الموت وكربه. قال: فخرجت لأعلم حماد بن سلمة[٦] وأصحابه، وإذا بهم قد استقبلوني. وقالوا: آجرَك الله. فقلت: من أين علمتم؟ قالوا: ما منَّا أحدٌ إلا أُتي البارحة في منامه فقيل له: ماتَ سفيان.

وقال الخطيب: حجَّ المهديُّ فدخلَ عليه فوعظه، وعنده أبو عبيد وزيرُه، فقال له يا أبا عبد الله، قد كانت كتبكَ تأتينا، فقال: ما كتبتُ إليكم، ثمَّ قام، فقال له المهدي: إلى أين؟ قال: أعود، وترك نعله، ثم عاد فأخذها ومضى، وانتظره المهديّ فلم يعد، فسألَ عنه، فقالوا: عاد وأخذ نعلَه، فغضب وقال: أمن الناس كلهم إلَّا الثوريّ، فخرجَ إلى البصرة، فاستخفى، فلمَّا احتضر قال: ما أشدَّ الغربة، انظروا هل هاهنا

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٦٠.

(٢) تاريخ خليفة ص٤٣٧، وطبقاته ص١٦٨.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٣.

(٤) في طبقاته ٨/ ٤٩٢.

(٥) حلية الأولياء ٧/ ١٢.

(٦) كذا، وفي صفة الصفوة ٣/ ١٥٠ : لأعلم حماد بن زيد.

أحدٌ من أهل بلدنا؟ فنظروا، فإذا أفضل أهل الكوفة هناك؛ عبد الرحمن [بن عبد الملك] بن أبجر والحسن بن عيَّاش[١]، وقد ذكرناه.

ومات ليلاً فجاء جرير بن حازم بعدما دُفِنَ فصلَّى عليه[٢].

وقال الخطيب: وقد روي أنَّه دفن كتبه قبل وفاته.

قلت: وهذا محمولٌ على أنَّه رَوى عن قومٍ ثقاتٍ وغير ثقات، فاشتبهَ الأمرُ عليه، أمَّا إذا كانت عن ثقات، فإنَّه لا يجوزُ دفنها، وسنذكر هذا المعنى في ترجمة بشر الحافي، وأحمد بن أبي الحواري.

ذكر ما رُؤي له من المنامات:

حكى الخطيب عن عبد الرحمن بن مهدي قال: رأيتُ سفيان الثوري في المنام بعد موته، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: لم يكن إلَّا خير، ما وُضِعتُ في اللحد حتى أُوقِفت بين يدي الله تعالى، فحاسبني حساباً يسيراً، ثم أمرَ بي إلى الجنَّة، فبينما أنا أدورُ بين أشجارها وأنهارها، سمعتُ قائلاً يقول: سفيان؟ قلت: نعم، قال: تحفظُ يوماً آثرتَ الله على هواك؟ قلت: إي والله، فأخذتني صواني النثار من جميع الجنة[٣].

وفي رواية فقلت: ما فعلَ الله بك؟ فقال: [من الطويل]

نظرتُ إلى ربِّي كفاحاً، وقال لي ... هنيئاً رضائي عنك يا ابن سعيدِ
فقد كنتَ قوَّاماً إذا الليل قد سَجى ... بعبرةِ محزونٍ وقلبِ عميدِ
فدونَك فاختر أيَّ قصرٍ تريدُه ... وزرني فإنِّي منك غير بعيدِ

وروى ابنُ أبي الدنيا عن سُعَير بن الخِمس قال: رأيتُ سفيان في المنام وهو يطيرُ من شجرةٍ إلى شجرة، ومن نخلةٍ إلى نخلة، وهو يقرأ: ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ الآية [الزمر: ٧٤][٤].

---

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٢) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤١.

(٣) تاريخ بغداد ٩/ ٤٤٠ (ترجمة رشيق أبو الحسن الرقي).

(٤) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٤ من غير طريق ابن أبي الدنيا.

وحكى ابن أبي الدنيا عن أبي خالد الأحمر قال: رأيتُ سفيان بعد موته في المنام، فقلت: كيف حالك يا أبا عبد الله؟ فقال: بخير، استرحتُ من غموم الدنيا، وأفضيتُ إلى رحمةِ الله تعالى[1].

أسندَ سفيان عن خلقٍ كثير من التابعين.

وقال ابن المبارك: كتبتُ عن ألفٍ ومئة شيخ، ما كتبتُ عن أفضل من سفيان. قيل له: فهل رأيتَ أفضل منه؟ فقال: فهل رأى سفيانُ مثلَ نفسه؟ وقد ذكرنا أنَّه لم يكن له ولدٌ إلَّا واحد، وأنَّه مات في حياة أبيه، وكان لسفيان ابنُ أختٍ يقال له: سيف بن محمد، رَوى عنه الحديث.

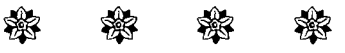

(١) تاريخ بغداد ١٠/ ٢٤٣ ـ ٢٤٤.